**حاستي السمع والبصر في كتاب الله: نظرة تأملية**

Ghusoon Salim Basheer1، Mohd Sharifuddin Ahmad1،Asmaa Yaseen Hammo2، Hanaa Mohamed Osman2

1 Universiti Tenaga Nasional، Jalan IKRAM-UNITEN، 43000 Kajang، Selangor، Malaysia

2Mousl University، Mousl، Iraq
rawagy2013@gmail.com، sharif@uniten.edu.my، asmahammo@yahoo.com

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| غصون سالم بشير & محمد شريف الدين أحمد & أسماء ياسين حمو & هناء محمد عصمان  | نظرة تأملية في ذكر السمع و البصر في القران الكريم ومحاولة استنباططرق تعليمية جديدة | جامعة تناكا الوطنية & جامعة الموصل  | ماليزيا – العراق300 | Rawagy2013@gmail.com01128312317sharif@uniten.edu.my0192844072asmahmmo@yahoo.com009647701608191hanaosman@yahoo.com |

**الملخص**

من بين النعم الكثيرة التي تفضل الله بها علينا نعمة السمع والبصر، وقد جاء ذكر السمع متقدماً على ذكر البصر في القران الكريم في عدة مواضع. سنحاول أن نبين في هذا البحث بعض اسباب هذا التقدم، ونقف على جزء بسيط من ذكر هاتين الحاستين في الحياة الدنيا الاخرة، لنصل في النهاية إلى أن العلم الحديث ما هو الا تأكيد لما جاء به القران منذ مئات السنين.

**المقدمة**

ان الطرق التي يستقبل بها الانسان المعلومات ويدرك بها ما حوله ثلاث: السمع، البصر واللمس. فاذا أراد الانسان ادراك شيء ما فلا بد له من سماع صوته أورؤية مظهره و شكله، وان استطاع لمسه فيكون بذلك قد احاط بكل صفاته. ومن بين هذه الطرق الثلاث تبرز حاسة السمع كأسهل حاسة تنتقل بها المعلومات الى الانسان، فتحتاج حاستي البصر واللمس تواجداً فعلياً زمانياً ومكانياً للحدث، بينما لا يحتاج السمع لذلك.

ان طرق تعبير الانسان عن مكنونات نفسه وما يدور بفكره تكون بالنطق، وفي حال فقدان الانسان لحاسة السمع، فانه في الغالب يفقد القدرة على النطق فيكون بفقدانه السمع قد فقد أهم حاسة للتواصل مع عالمه. ومن هنا تبرز اهمية حاسة السمع ودورها في التواصل الانساني.

**ذكر حاستي السمع و البصر في القرآن**:

 ورد ذكر حاستي السمع والبصر في مواضع عديدة في كتاب الله، منها ما تقدم ذكر السمع على البصر، ومنها ماتقدم البصر على السمع، وفيما يلي تفصيل لبعض مواضع ورودها:

**1.تقدم ذكر السمع على البصر:**

 تقدم ذكر السمع على البصر في مواطن كثيرة في القران الكريم ومنها**:**

**أ-آيات الخلق والانشاء:**

يأتي ذكر حاسة السمع قبل ذكر حاسة البصر في الآيات التي تذكر الانشاء والخلق والتكوين كما في مواضع الايات الست التالية:

-"انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه **سميعا بصيرا**" (سورة الانسان، الاية 2).

-"والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم **السمع والأبصار والأفئدة** لعلكم تشكرون" (سورة النحل، الاية 78).

-"وهو الذي أنشأ لكم **السمع والأبصار والأفئدة** قليلا ما تشكرون" (سورة المؤمنون، الاية 78).

-"ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم **السمع والأبصار والأفئدة** قليلا ما تشكرون"(سورة السجدة، الاية 9).

-"قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم **السمع والأبصار والأفئدة** قليلا ما تشكرون" (سورة الملك، الاية 23).

-"ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم **سمعا وأبصارا وأفئدة** فما أغنى عنهم **سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم** من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون"(سورة الاحقاف، الاية 26).

**الاقتران العلمي لتقدم ذكر السمع على البصر:**

- **تسلسل الانشاء**: أثبت العلم الحديث أن أول حاسة تنمو وتكتمل عند الجنين هي السمع، حيث تتمكن الاذن من ادراك الاصوات ونقلها للدماغ في الشهر الخامس من عمر الجنين، في حين ان العين يكتمل نموها بعد الأسبوع الخامس والعشرين ويتم نقل الإشارات العصبية البصرية بكفاءة بعد عدة أسابيع من الولادة (1). وهذا من اعجاز القران الكريم الذي يدل على ذلك قبل اكتشاف العلم له.

* **الموضع التشريحي**: ان علم التشريح وضّح ان المخ يتكون من اربعة فصوص: الامامي، الجبهي، الصدغي، والخلفي، ووجد علماء التشريح ان مركز السمع يقع في الفص الصدغي بينما مركز البصر يقع في الفص الخلفي فيكون ذكرهم بالقران بتقديم السمع على البصر موافقاً لوضعهم التشريحي (7).
* **التطور الفسيولوجي:** أثبت العلم الحديث أن المنطقة السمعية المخية تتطور وتتكامل وظائفها قبل مثيلتها البصرية، ومن التجارب العلمية تم اثبات انه يمكن تحفيز حاسة السمع لدى الجنين، في حين لا يمكن بأي حال تحفيز حاسة البصر، لذلك فان الفرق يظهر في تطور السمع قبل البصر لان أي نوع من المنبهات لاي من الحواس تحفز تلك الحاسة على النمو والتطور وبهذه الطريقة يحفز الجهاز السمعي للجنين وهو في بطن أُمه على النضوج ولا يحفز الجهاز البصري بمثل ذلك إلا بعد ولادته. وقد يكون هذا السبب وراء تعلم الطفل للمعلومات السمعية بطريقة اسرع واسهل من تعلمه المعلومات البصرية(6).

**ب - سؤال الحواس عن أعمال صاحبها يوم القيامة**:

تتجلى عدالة الله عز وجل يوم القيامة في الترتيب الذي تٌسئل فيه الحواس عن أفعال صاحبها، فكما ورد في سورة الاسراء، في الاية 36 " ولا تقف ما ليس لك به علم إن **السمع والبصر والفؤاد** كل أولئك كان عنه مسئولا"، فان أول ما يُسئل من الحواس هو السمع، وبذلك يكون السؤال بنفس اولوية الايجاد والخلق.

**ج - شهادة الحواس على صاحبها يوم القيامة:**

ان أول حاسة تشهد على الانسان هي السمع والتي هي الاولى في الانشاء والخلق:

 ورد في سورة فصلت شهادة الحواس فكانت الاولى هي حاسة السمع ثم البصر والجلود، وتم ذكر الجلود لامتلاكها الاعصاب الحسية، "حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم **سمعهم وأبصارهم وجلودهم** بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم **سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم** ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون" (سورة فصلت، الايات 20، 21، 22).

**2. تقدم ذكر البصر على السمع:**

تم تقدم ذكر السمع على البصر في سبعة عشر آيةً في كتاب الله، إلا ان ذكر البصر قد ورد قبل السمع في الايات التي تذكر عملية الابصار كما في الايات التسع التالية:

- " وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا **أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا**" (سورة السجدة، الاية 12).

- " ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها) "سورة الأعراف، الاية 179).

- "وحسبوا ألا تكون فتنة **فعموا وصموا** ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم")سورة المائدة، الاية71).

- "ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم **عميا وبكما وصما**" (سورة الإسراء، الاية 97).

- " أم لهم **أعين يبصرون** بها أم لهم **آذان يسمعون** بها"(سورة الأعراف، الاية 195).

- "الذين كانت **أعينهم** في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون **سمعا"** (سورة الكهف، الاية101).

-"ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا **أبصرنا وسمعنا** فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون "(سورة السجدة، الاية 12).

-" وما أنت **بهادي العمي** عن ضلالتهم إن **تسمع** إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون" (سورة النمل ، الاية81).

- "قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **أَبْصِرْ بِهِ** و**أَسْمِعْ** مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً" (سورة الكهف، الاية 26)

وقد فسر العلماء تقدم البصر على السمع لسرعة انتقال الضوء الذي هو سبب رئيسي في عملية الابصار التي تزيد على سرعة انتقال الصوت، فالضوء ينتقل بسرعة (300) الف كيلو متر في الثانية، أما الصوت، لا ينتقل إلا بسرعة (330) متراً في الثانية .

فيلاحظ مما سبق ان تقدم ذكر السمع على البصر عند ذكر إنشاء الحواس، أما عند ذكر عملية الابصار، فالصورة تسبق الصوت، لذا فالإبصار كعملية يسبق السماع.

**3. ارتباط السمع بالعقل في القران:**

ان ذكر السمع في القران الكريم يأتي مقترنا بالهدايه والعقل، وياتي في موضع آخر مقترناً بالتذكرة، ويأتي دلالة على وجود الخير في البشر، كما في الايات الخمس التالية:

* "ولو علم الله فيهم **خيرا** **لأسمعهم** ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون" (سورة الانفال، الاية 23).

- "لنجعلها لكلم **تذكرة** وتعيها **أذن** واعية"(سورة الحاقةالاية 12).

- "وقالوا لو كنا **نسمع أو نعقل** ما كنا في أصحاب السعير" (سورة الملك، الاية 10).

- "ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون" (سورة البقرة، الاية 171).

- ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو **اُذن** قل **اُذنُ خيرٍ** لكم" (سورة التوبة، الاية 61).

**3. 1. الاقتران العلمي لارتباط السمع بالعقل:**

أثبتت الدراسات التي اجريت على معدل مستوى الذكاء أو IQ ان الصم متأخرون في مستوى الذكاء بثلاث الى اربع سنوات عن اقرانهم العاديين (9).

وقد توصلت الدراسات الحديثة إلي أن مستوى القدرات العقلية للمعاقين سمعياً تتأثر سلباً نتيجة النقص في المثيرات الحسية في البيئة، مما يؤدي الى قصور المدركات مما يؤثر على النمو العقلي (9).

**4. فقدان السمع والبصر:**

من المعروف علميا ان الطفل الذي يولد فاقداً لحاسة السمع يصبح فيما بعد أبكماً ولا يمكنه تعلم الكلام، أما اذا ولد الطفل وهو فاقد لحاسة البصر فلا تواجهه مشكلة في تعلم النطق وبسهولة، وسبب ذلك ان الطفل عندما يولد يتعلم المحاكاة للاصوات التي يسمعها من حوله ، ويبدأ بتقليد الاصوات ويتدرج حتى يصبح قادرا على النطق. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه دار السعادة "من عدم السمع عدم المواعظ والنصائح وانسدت عليه أبواب العلوم وانفتحت عليه أبواب الشهوات التي  يراها بعينه، ولهذا لم يكن في الصحابة أطرش وكان منهم جماعة عميان وقلّ أن يبتلي الله أولياءه بالطرش ويبتلي كثيرا منهم بالعمى" (7).

**4. 1. ارتباط فقدان السمع بفقدان البصر:**

ورد ذكر فقدان السمع والبصر في القران الكريم، وجاء التسلسل بذكر فقدان السمع ثم فقدان البصر كما في الايات التالية**:**

 -"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ **سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ** وَخَتَمَ عَلَى **قُلُوبِكُم** مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ" (سورة الأنعام، الاية 46(.

-"أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ **السَّمْعَ** وَمَا كَانُواْ **يُبْصِرُونَ**"(سورة هود، الاية20).

**4. 1. 1. متلازمة اشير:**

وقد اكتشف العلم الحديث مرض يسمى بمتلازمة اشير، الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

1. النوع الأول (USH1) يتميز بصمم شديد عند الولادة وبعدها يبدأ بصر المرضى يضعف حتى بلوغهم العاشرة من العمر.
2. النوع الثاني (USH2) الذي يتميز بضعف سمع متوسط الشدة عند الولادة ويبدأ بصر المرضى بالضعف حتى بلوغهم 20 سنة.
3. النوع الثالث (USH3) الذي يتميز بضعف سمع تدريجي ويظهر ضعف البصر بعد سن العاشرة أو العشرين من العمر (12).

**4. 1. 2. فقدان السمع والبصر عند المسنين:**

أكدت دراسة أسترالية تم أُجراؤها على أكثر من 1900 شخص من الذين يبلغ متوسط أعمار 70 سنةَّ ان معظم الذين فقدوا حاسة البصر كانوا على الأرجح قد فقدوا حاسة السمع. وبعد اجراء الدراسة على 178 شخص، وجد العلماء ان 65 بالمئة من الذين يعانون ضعف في البصر كانو يعانون من فقدان السمع (11).

وبعد عمل المزيد من التجارب، وجد الباحثون ان ماء العين السبب الأكبر في فقدان البصر عند كبار السن كان مرتبطا بشكل مباشر بفقدان السمع (11).

**5. السمع والبصر ما بعد الموت وفي البرزخ:**

**أ** – اول حاسة تتبع الروح هي البصر للحديث الذي رواه [حسن بن موسى](http://library.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=13715)قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فإنه يؤمن على ما قال أهل الميت**".**

ب- من الامور المهمة التي تسترعي الانتباه ان حاسة السمع مشار اليها في عدة مواضع من السيرة النبوية، ففي ذكر الموت وما يؤؤل اليه الميت بعد دفنه فقدَ َحدَّثَ [أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ](http://library.islamweb.net/hadith/RawyDetails.php?RawyID=720)، قَالَ : قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ".

وقد ورد حديث عن السيدة ‏عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل يزور قبر ‏أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم".

فهذه الاحاديث دلالة على ان حاسة السمع تستمر بعد الموت ويستطيع الميت الادراك السمعي برغم انتقاله الى حياة البرزخ.

**6. اسباب تفضيل السمع على البصر**

يتضح لمن تدبر آيات القرآن الكريم تقديم وتمييز حاسة السمع على حاسة البصر في اغلب الآيات التي ذكرا فيها معاً، وفيما يلي بعض الاسباب:

1. **وسيلة الاتصال مع العالم الخارجي**: تم اختيار حاسة السمع لتكون اداة الاتصال البشر مع بيئتهم و محيطهم، فعلى مستوى اتصال البشر بالخالق كان السمع هو طريق الاتصال بالله عز وجل مباشرة كما حدث مع كليم الله سيدنا موسى عليه السلام، "وانا اخترتك فاستمع لما يوحى"(سورة طه،الاية 13)، واتصال البشر بالملائكة، فقد ورد عن كيفية نزول الوحي على النبي محمد صلى الله عليه و سلم ،" حديث رسول الله عن وصفه للوحي" أحيانًا في مثل صلصلة الجرس"، واتصال البشر فيما بينهم.
2. **وسيلة تلقي القران الكريم** : ورد ذكر السمع للقران الكريم المنزل وكيف ان الشياطين لايستطيعون سماعه في سورة الشعراء الاية 212، "وماتنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون". ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ان الشياطين بمعزل عن سماع القران الكريم حال نزوله لامتلاء السماء بالحرس الشديد و الشهب في مدة إنزال القرآن على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فلم تتمكن الشياطين من استماع حرف واحد منه لئلا يشتبه الأمر على الناس.
3. **حاسة الطواريء** : ان الابحاث العلمية في مجال النفس التجريبي اشارت الى ان زمن الارتداد السمعي (Auditory Time- Back) اقصر من زمن الارتداد البصري (Visual Time-Back) بمعنى ان حاسة البصر ذات اهمية اعلى في المواقف الحرجة (4).
4. **الحاسة الغير مشروطة** :

 ا. يشترط الضوء للرؤية، لكن ليس هنالك شرط للسمع.

ب. التواجد المكاني: يحتاج ابصار شيء ما الى تواجد فعلي للشيء لابصاره وقد تحتاج حاسة اللمس الى تواجد قريب لملامسة الشيء المراد معرفة، بينما لا تحتاج حاسة السمع الى تواجد حقيقي فيمكن للشخص تلقي المعلومات عن طريق السمع من كافة الابعاد الزمانية والمكانية فيمكنه معرفة ما كان في الماضي و ما كان عن بعد.

4. **حاسة لا ارادية** : يتحكم الانسان بحاسة البصر، فيستطيع اغلاق عينية في حال عدم رغبته في رؤية شيء معين، لكنه يسمع بدون تحكم منه او ارادة (6). وقد ذكر القران بشأن اصحاب الكهف ان منع آذانهم من السماع كان أحد أسباب نومهم لفترة طويلة، "فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا"، والضرب هنا بمعنى التعطيل .

5- **اهمية السمع في حفظ توازن الجسم:**

اثبت العلم الحديث احتواء الاذن الداخلية على جهاز خاص يحافظ على توازن جسم الانسان.

**6- آلة الاستدعاء يوم البعث:**

قد جاء ذكر السمع في احاديث القيامة حيث ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير الاية "ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين" بان الله تعالى قد اخبر عن الفزع في يوم القيامة الناتج من النفخ بالصور وهو عبارة عن بوق ينفخ فيه، وذكر في حديث طويل من رواية الإمام مسلم بن الحجاج "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى". فهذه نفخة الفزع ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين. فحاسة السمع مذكورة هنا كدليل على انها ستكون طريقة تنبيه المخلوقات ليوم القيامة.

 7- تتم عملية السماع من كافة الاتجاهات و المستويات التي تحيط بأذنيه، فيمكن القول ان الزاوية السمعية هي (360) درجة، في حين ان زاوية الرؤية افقيا هي (180) وعموديا (145)(5).

8-ان انتقال الاشعة الضوئية يكون بخط مستقيم، وفي حال اعترضها جسم غير شفاف فانه يمنعها من الانتقال، وتمتنع عندها الرؤية، اما الموجات الصوتية فانها تسير في كل الاتجاهات حتى وان تم اعتراضها من قبل الاجسام الغير شفافة فانها يمكن أن تلف حول جميع الزوايا وتصل للانسان ويسمعها .

**المصادر**

1. القران الكريم
2. تفسير ابن كثير
3. صادق الهلالي ، الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في السمع والبصر والفؤاد، المؤتمر العالمي الحادي عشر للهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القرانو السنة برابطة العالم الاسلامي، قطر.
4. عبد القادر شحرور، حاسة السمع في القران،

<http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=276cba89e311c54>

5. عادل الصعدي، الإعجاز العلمي في تقدم السمع على البصر، مركز بحوث جامعة الايمان، 2013،

**6.**هشام عبد الصبور يكتب: تأملات قرآنية.. بعيدا عن السياسة 2012 ، <http://www.akhbarak.net/articles/>

7. محمد النوبى محمد على**،** خصائص المعاقين سمعيا، قسم الصحة النفسية، كلية التربية جامعة الأزهر- فرع الدقهلية

8.محمد راتب النابلسي، موضوعات علمية من خطب الجمعة - الموضوع 023 : أهمية السمع والبصر.1986-04-11

9.<http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=3558&id=182&sid=183&ssid=184&sssid=185>

10.مفتاح دار السعادة**.**

1. الاعجاز العلمي في الموجات السمعية، ملتقى الفيزيائيين العرب**.** <http://www.phys4arab.net/vb/showthread.php?t=58937>

## تأثير الضعف السمعي علي جوانب النمو المختلفة، **موقع اطفال الخليج ذوى الاحتياجات الخاصة.**

1. فقدان البصر والسمع يحدثان معا عند كبار السن، جيدة الشرق الاوسط.
2. متلازمة اشير، ويكبيكديا، الموسوعة الحرة.